المصطلحية وعلم صناعة المعاجم

تمهيد:

تنبثق المصطلحية وعلم المعاجم بشقّيْه النظري والتطبيقي (المعجمية التطبيقية والمعجمية النظرية) من محراب اللسانيات التطبيقية؛ ذلك أن العلمين يدرسان ويبحثان الكلمة المفردة سواء أكانت عامة أو خاصة، وهما يسعيان – كلّ في إطاره وبحسب منهجه- إلى حل المشكلات اللغوية المرتبطة باللفظ المفرد تأليفا وتكوينا، ثم شرحا وتعريفا، ثم تخزينا ونشرا، ومع ذلك فإن اجتماع المصطلحية والمعجمية في هذه السبيل لا يؤدي بهما دوما إلى التوصل إلى نتائج متقاربة أو متطابقة، حيث إن الاختلاف بينهما جذري من حيث أسلوب التعامل مع اللفظ المفرد أو المركّب، وذلك نشأت بينهما عناصر تقارب وعناصر اختلاف وتفرّق سوف نقوم باستعراضها من خلال هذه المحاضرة:

- **العلاقة بين المصطلحية والمعجمية:**

ستكون البداية من طرح فرضية انتماء المصطلحية إلى حقل المعجمية وتخصصها، فالكثير من الدارسين يحملون المصطلحية على أنها فرع معجمي، يدرس الكلمات الخاصة فقط، ولكن فريقا آخر من الباحثين رفض هذا التوجه بحكم أن المصطلحية لا تهتم كثيرا بالصناعة المعجمية، فهي تراها واحدة من آليات تخزين المصطلحات فقط لا غير، بينما عملها الأكبر يتوجه نحو ضبط منظومة المفاهيم وتحديد مكوناتها، ثم توجيه الرموز اللغوية نحو تلك المفاهيم.

وفي حقيقة الأمر – ومن خلال المحاضرات الأولى – اتضح لنا أن المصطلحية تحتلّ مساحة خاصة بها، تجعلها منفصلة عن بقية العلوم المرتبطة منها أو المتفرعة عنها، خاصة اللسانيات واللسانيات التطبيقية، ثم المعجمية بعد ذلك، لأن المصطلحية ترتبط بشبكة معلوماتية مع كافة العلوم المعاصرة حتى غير اللغوية.

إن القول بأن المصطلحية جزء من المعجمية هو قول ينبع فقط من النظرة لها نظرة لسانية، بكونها جزء من المعجم المتخصص بفعل انتمائها إلى مجالاتها. لكن لو نظرنا للمصطلحية من منظور مفاهيمي أي منظور علمي تقني يُعنى بمنظومة المفاهيم بالدرجة الأولى فسوف نجدها غير منتمية للمعجمية، وبعيدة عنها البعد كله.

تشترك المصطلحية مع المعجمية في نقاط أساسية، من بينها ما يلي:

- كل منهما يشتغل ضمن الحقل اللساني.
- كل منهما يهتم بالكلمات فقط دون الجمل والتراكيب.
- الهدف المعاصر لكليْهما هو خدمة اللغة وبالتالي خدمة الاقتصاد القائم بتلك اللغة.

- **<u>الفروق بين المصطلحية والمعجمية:</u>**

ثمة فروق بارزة بين العلميْن، تتلخص وتنعكس فيما ذكرناه سابقا في الفروق بين المصطلحية واللسانيات، على النحو الآتي:

- تهتم المصطلحية بالكلمات الخاصة التي هي المصطلحات، بينما تُعنى المعجمية بالكلمات العامة.
- تبتعد المصطلحية عن الشرح السياقي للكلمات وتعريفها وفق النمط اللغوي المعتاد في المعاجم العامة، فهي تكتفي بالتعريفات والحدود العلمية لتلك المصطلحات، ولا تتعامل معها أبدا من منطلق أنها وحدات لغوية قابلة للشرح، أو التمثيل، أ, استخدام الجمل والتراكيب من أجل توضيحها للمستعمل اللغوي الذي يُعدّ من وجهة نظر المصطلحية ابنَ اللغة، فليس بحاجة إلى الشرح والتفسير اللغويين بقدر ما هو بحاجة إلى التعريف المنطقي والعلمي. بالإضافة إلى أن المصطلحية لا تولي أيّة عناية للنحو والتركيب، بينما تسعى المعجمية في بعض الأحيان للاستعانة بأبواب النحو من أجل الضبط الإعرابي لأواخر الكلمات، إن كان ذلك أمر ضروري في الشرح المعجمي.
- تنطلق المصطلحية في عملها من المفاهيم نحو الرموز اللغوية، بينما تعكف المعجمية على تحديد الدوالّ وجمعها بالوسائل التقليدية والمستحدثة ثم وضع مدلولات لها وتبسيطها للمستعمل، ففي المصطلحية تكون العناية الأكبر بتوضيح المفهوم لأنه الأسبق في الظهور ولأنه المفتاح الأساس لصناعة المصطلح بالبحث عن رمز يقوم بتوضيح كافة لعناصر المكونة للمفهوم.
- من البديهي – والذي سبق وأن تعرفنا عليه في محاضرات سابقة- فإن المصطلحية ذات منهج تزامني في أبحاثها، لذلك فهي لا تعبأ إطلاقا بالجانب التاريخي ولا الاشتقاقي للكلمة، ولا تهتم إلا بالدلالة المعاصرة المتداولة في المجتمع البشري الحالي.
- فيما يتعلق بالجانب المتعلق بتكوين المصطلحات فإن المعجمية تقول بحريّة اللغات وترفض التدخل ولا تهتمّ بالجوانب المقعّدة وتتعارض مع التوحيد، فهي لا تجبر المستعمل على نمط لغوي سائد أو واحد، فهذا التحجيم والاختزال يؤدي بحسبها إلى افتقار اللغة. وأما المصطلحية فإنها تميل نحو التقعيد والتقنين، وهذا راجع لالتزامها بالمنهج المعياري في التعامل مع الكلمات.

- الرموز في المصطلحات ليست بالضرورة ألفاظ كتابية بل قد تكون رموزا هندسية أو رياضية أو أشكالا مصغرة أو علامات مرجعية، بخلاف ما هو حادث في نطاق المعجمية التي لا تجمع من المداخل إلا ما كان لفظا كتابيا له صورة لغوية متداولة بين الناس.
- إن اهتمام المصطلحية بالصناعة المعجمية يكون في إطار مختلف عن المعهود معجميا، فهي – المصطلحية - تهتم بالترتيب القائم على الحقول المعرفية والتخصصات العلمية، ذلك تُنتج في الغالب معاجم ضيقة من حيث المجال المعرفي، ولا تتفاعل مع المعاجم العامة، بينما تجنح المعجمية نحو الصناعة القائمة على الترتيب الهجائي لأن تنظر للمداخل على أساس كونها رموزا كتابية لا مفاهيم علمية.
- تعتني المصطلحية بدراسة الأسماء فقط، بينما تدرس المعجمية كل ما يدخل في دائرة اللغة من ألفاظ سواء أكانت أفعالا أو أدوات أو ظروفا أو نعوت أو حتى علامات ترقيم.
- مستعملو المعجمية والناشطون فيها هم في الغالب عامة الناطقين بتلك اللغة، ويستخدمون كلماتهم في أوضاع جدّ متنوعة، بينما الناشطون المصطلحيون هم في الغالب من المتخصصين في حقل علمي واحد، وهم أقلّ عددا من الطائفة الأولى، وينحصر استخدامهم اللغوي في حدود الاستخدام المهني أو التخصصي فقط.
- تحيل المصطلحات عادةً إلى التصورات الذهنية المرتبطة بمجال محدد، وأما المعجمات فتحيل مستعمليها نحو كل مواضيع الحياة اليومية للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم...
- الكلمات العامة المعجمية ليست محددة في مجالات الاستعمال، بينما تندمج المصطلحات في خطابات تحويها النصوص المتخصصة مثل النصوص العلمية او النصوص الإخبارية.
- تهتم المعجمية -من منظور لساني- بالكلمات بغية تحليل مهارة الناطق والمتحدث بتلك اللغة، وأما المصطلحية فتهتم بالمصطلحات للإلمام الجيد بالتصورات الذهنية أو بالمفاهيم، فهي لا تستهدف المهارة المصطلحية للمتخصصين لأنها مهارة –بحسبها- يكتسبونها من الواقع اللغوي بعيدا عن إطار المصطلحية.
- لا يتوقف العمل المصطلحي عند نقطة جمع المداخل وترتيبها وتعريفها، بل يسعى إلى أبعد من ذلك، بأن يعمل على توحيد المصطلحات في التخصص الواحد ضمن اللغة الواحدة.
- تتقارب المعجمية مع المصطلحية في صناعة المعاجم المتخصصة، ولكن الكلمات التي تُحصيها المعجمات من وجهة نظر معجمية هي كلمات خاضعة لإرادة المجامع اللغوية، أما من وجهة نظر المصطلحية فلا بد أن تنتج تلك الكلمات الخاصة عن أشكال موحدة، حيث لا يكفي حدوث الاتفاق حولها، بل لا بد أن تصدر من لجان تتفق وتُوحِّد.

- **المصطلحية وصناعة المعاجم العربية العامة القديمة:**

اعتنت المعاجم القديمة بالمصطلحات من عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي وكتابه "العين"، حيث جمع هو والذين أتوا من بعده المصطلحات العلمية والفنية والحضارية جنبا إلى جنب مع الكلمات العامة في اللغة، فلا يكاد يخلو معجم منها من وجود المصطلحات على كافة تخصصاتها العلمية المنتمية لها، ولكن الجمع المصطلحي لم يكن مستهدفا في حدّ ذاته بل كان يجري بنسق واحد مع الكلمات العامة في اللغة العربية، فالخليل بن أحمد على سبيل المثال قصد بصناعة معجمه أن يجمع كل ألفاظ العربية مهملها ومستعملها، وعلى نهجه سار علماء المعاجم، وإن كانوا قد طرحوا فكرة جمع وتدوين المهمل من ألفاظ اللغة العربية, غير أننا نلحظ عنايتهم في التفريق بين درجات المصطلح إن كان ينتمي إلى مجاله المعرفي أكثر من رمز لغوي؛ فالمصطلحات النحوية أو الصوتية أو الصرفية مثلا تتقارب في بعض الحيان، ولذلك وجب التفريق بينها بدقّة، لا خدمة للمصطلحات ولكن خدمة للقارئ والمستعمل كي لا يقع في الخلط بينها، فمن أمثلة ذلك أن الخليل يميّز بين مصطلحين: (الفعل المتعدّي والفعل المجاوز)، فالمجاوز هو ما تعدّى إلى مفعول واحد والمتعدي هو ما تعدى إلى مفعولين.[1]

لم يكن تعامل المعجميين القدامى مع المصطلحات يسير على الوتيرة ذاتها، فالجوهري مثلا ونظرا لصغر حجم كتابه (الصحاح) لم يجمع إلا النزر اليسير منها، بينما اجتهد ابن فارس في كتابه (المقاييس) في توليد مصطلحات كثيرة من الجذور الثلاثية التي تعامل معها من منطلق فكرة الأصول والفروع، وفي القرن الثامن الهجري منح كلّ من ابن منظور والفيروزأبادي عناية فائقة للمصطلحات، بأن جمعا منها الكثير، لدرجة أن الفيروزأبادي اتُّهم بأنه أكثر من المصطلحات الطبية والعلمية بشكل عام، فعاب عليه النقاد اللغويون في عصور لاحقة ما قام به من جمع فاق التصورات اللغوية آنذاك، وهذا ما نقرأه مثلا في كتاب "الجاسوس على القاموس" لأحمد فارس الشدياق.

- **المصطلحية وصناعة المعاجم العربية المتخصصة القديمة:**

تبدأ عناية هذا النوع من الصناعة المعجمية في القرن الرابع الهجري، حين ألّف بعض اللغويين معجمات تقتصر على طائفة من الكلمات الخاصة بمجال علمي أو لغوي واحد، وقد سبقهم في ذلك مؤلفو الرسائل اللغوية القائمة على فكرة الوحدة الموضوعية، والتي استمدت منها الموسوعات ودوائر المعارف لاحقا منهجيتها في التعامل مع المصطلحات، ومن تلك الأعمال المنسوبة للقرن الرابع الهجري نجد: "معجم بقية الأشياءّ للعسكري، و"الحدود في النحو" للرمّاني، ومع أن هذا الكتاب لم يحصِ كل المصطلحات النحوية ولم يعط كل مصطلح مستحقه من التوضيح والتعريف إلا أنه استطاع أن يفتح بابا جديدا في الجمع المصطلحي، كقوله:" البدل قول يُقدّر في موضع الأول"[2] بل غنه انتهج لتعريف المنطقي حتى غلب عليه هذا الأمر وعيب

[1] مصطفى طاهر الحيادرة: من قضايا المصطلح اللغوي العربي، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردنّ، ط1، 2003. ص55
[2] أبو الحسن الرمّاني: رسالتان في النحو، تح: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان –الأردن، 1984. ص69

عليه ذلك، كقوله: " القياس جمع بين أول وثان يقتضيه في صحة الأول صحة الثاني وفي فساد الثاني فساد الأول"[1].

ومن أكثر المعاجم المتخصصة بالقرن الرابع الهجري التي أجادت التعامل مع المصطلحات كتاب "مفاتيح العلوم" للخوارزمي، حيث يقول في مقدمته: " وقد جمعت في هذا الكتاب أكثر ما يُحتاج إليه من هذا النوع متحرّيا للإيجاز والاختصار، ومتوقّيا للتطويل والإكثار، وألغيت ذكر المشهور والمتعارف بين الجمهور، وما هو غامض غريب."[2]

فقد أراد لهذا المعجم أن يكون: "جامعا لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، متضمّنا ما بين كل طبقة من العلماء من الموضوعات، والاصطلاحات التي خلتْ منها أو من جلّها الكتب الحاصرة لعلم اللغة."[3]

وبالنظر إلى عموم المصطلحات التي جمعها الخوارزمي نجدها تنقسم إلى طائفتين هما[4]:

- مصطلحات الفقه وعلوم العربية وهي مصطلحات أصيلة انبثقت من الفكر العربي الإسلامي، حيث كانت تظهر وتتطور تباعا بتقدّم العلوم.
- مصطلحات العلوم الجديدة والتي أسماها هو (علوم العجم) وهذه مصطلحات استطاع المترجمون العرب من نقلها للغة العربية بدءا من العصر العباسي حيث حلّت محلّ القديمة وصارت معبِّرة عن الحضارة العربية الإسلامية.

كما يعدّ الشريف الجرجاني من أوائل اللغويين الذين تعاملوا مع المصطلح (الاصطلاح) بشكل واضح وصريح، فعرّفه بأنه: "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه الأول"، ثم يضيف قائلا: " فهذه تعريفات جمعتها واصطلاحات أخذتها من كتب القوم، ورتّبتها على حروف الهجاء.... تسهيلا تناولها للطالبين، وتيسيرا تعاطيها للراغبين."

وقريبا منه يصرّح أبو البقاء الكفوي بالقول واصفا كتابه "الكليّات": " جمعت فيه ما في تصانيف الأسلاف من القواعد،..... وتسارعت لضبط ما فيه من الفوائد،،، منقولة بأقصر عبارة وأتمّها، وأوجز إشارة وأعمّها، ..... ورتّبتها على ترتيب كتب اللغات وسمّيتها بالكليّات."[5]

تعامل الكفوي مع المصطلحات في كتابه هذا بأن يعطيها التعريف اللغوي ثم التعريف الاصطلاحي، أو يقدّم أقسامها وعناصرها، أو يمثّل لها، وقد يجمع عند تعريف المصطلح الواحد أكثر من صورة مما تقدّم ذكره من تعاملات، فقد يورد تعريف المصطلح من جانب

---

[1] المرجع نفسه. ص66

[2] الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تح: جودت فخر الدين، دار المناهل، بيروت، ط1، 1991. ص 12

[3] المرجع نفسه. ص12

[4] أحمد مطلوب: بحوث لغوية، دار الفكر، عمان- الأردنّ، ط1، 1987. ص170

[5] أبو البقاء الكفوي: الكليّات، تح: عدنان الدرويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992. ص 17-18

الغوي دون أن يستعرض الجانب لاصطلاحي له، كأن يقول عن الإبدال بأنه رفع الشيء ووضع غيره مكانه.[1]

من المعجميين المتخصصين الذين أوْلوا المصطلحات عناية كبرى نجد التهانوي في القرن الثاني عشر في كتابه "كشّاف اصطلاحات الفنون"، حيث يقول: " إن أكثر ما يُحتاج به في تحصيل العلوم المدونّة والفنون المروّجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح؛ فإن لكلّ علم اصطلاحا خاصا به، إذا لم يُعلم بذلك لا يتيّسر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلا وإلى انفهامه دليلا."[2]

إن التهانوي شأنه شأن بقية المعجميين القدامى مثل الأحمد نكري في كتابه " موسوعة مصطلحات جامع العلوم، والملقّب بدستور العلماء[3]، يكتفون بالجمع المصطلحي دون تحديد أسباب الجمع أو طبيعته، فه م لا يذكرون المنهج المتّبع والآلية المستخدمة في الجمع والتعريف المصطلحي، بل يتمّ الاكتفاء بذكر ما ورد لدى القدامى من أهل اللغة والمعاجم جمعا وتصنيفا وترتيبا[4].

وبقي الأمر على تلك الحال إلى غاية القرن التاسع العشرين والقرن العشرين الميلاديِيْن، حيث أخذ علماء اللغة على عاتقهم مسؤولية اللحاق بركب المصطلحية، وتأليف معاجم متخصصة في المصطلحات العلمية والفنية دون باقي الكلمات العامة، وأخذ منهجهم في التعامل مع المصطلحات يأخذ منحى علميا مدروسا.

ومن المعاجم الحديثة التي بُذل فيها الجهد: معجم دوزي بالفرنسية والعربية، معجم لين، معجم كازمرسكي، معجم بارجر بالانجليزية والعربية، ثم معجم بيلو والمنهل بالفرنسية والعربية، والمورد بالانجليزية والعربية، هذا في إطار المعحمات الثنائية، وأما عن المعجمات المتخصصة فنجد: معجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف، ومعجم أسماء النبات لأحمد عيسى، ومعجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي، والمعجم العسكري الذي يحتوي على حوالي 40000 مصطلح، وكافة المعاجم الصادرة عن دائرة المعارف لمكتبة لبنان في بيروت[5].

إن العلاقة إذن بين المصطلحية والمعجمية علاقة وطيدة رغم كثرة الفروق التي أحصيناها بينهما، ومن وجهة النظر التي تعنينا في هذا المقياس يمكن القول إن المعجمية العربية مهدّت

---

[1] المرجع نفسه. ص 31

[2] التهانوي: كشّاف اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1963. ص1

[3] الأحمد نكري: موسوعة مصطلحات جامع العلوم، تح: رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1997. ص: 157

[4] مصطفى طاهر الحيادرة: من قضايا المصطلح اللغوي العربي. ص: 69

[5] شحادة الخوري: دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط2، 1992. ص 35

لظهور المصطلحية العربية وسهّلت لها العديد من مهامها، حيث أفادتها بالتجارب وأغنتها بالمعجمات التي هي وسائل لتخزين المصطلحات وتعريفها ونشرها للمستعملين.